

المستطرفات المستطرفات

في حياة السيد جرمانوس فرحات

لمضرة الكتاب الفاضل اقس جرجس منس الماروني الحلبي

٤ الزّاهب (تابع)

وقد لحق صاحب الترجمة بعد ان مهد شؤونه في اواخر سنة ١٦٦٥ (١) برقته المذكورين فادركهم في دير القديسة مورا وانتظم في سلكهم فرحاً مسروراً فاحتفوا بعلقاه كل الحفاوة ولا عجب قد كان متقدّمهم في طريقهم ومرجمهم في كل امورهم على ما روى الثّقلة الأثبات

فلم يلبث جبرائيل ان تّربّياً بالزي المكسي فاتبهج لقضاء وطوره المشوق منه غاية الابتهاج واخذ يحدّث في تحصيل انكبال الزهباني فاقطع الى كل الرياضات التي يروض بها طلبة الرهبانية كاعمال الامانة وانمال التواضع والتفرغ للصلاة والاشغال العقلية واليدوية وما مائل هذه الفضائل التي اهلته ان يرتقي الى مقام انكهنوت السامي ويُسد اليه مسند الرئاسة على دير القديسة مورا في عام ١٦٩٧ على ما افاد صاحب تاريخ الرهبانية (٢)

ثم سأله الرهبانية ان يضع لها قانوناً (٣) يكفل لها كيانها الادبي من الاخلال

(١) لاني سنة ١٦٩٤ كما زعم البعض ولا في سنة ١٦٩٦ كما وهم اخرون ولا في سنة ١٦٩٨ كما ورد في تنبيه فصل الخطاب المطبوع في مطبعة طابيش ولا يُمنجج بما جاء في الديوان (ص ٢٩٢) من انه ترمب سنة ١٦٩٤ لانه خطأ من غلّة السّاخ بلا شك
(٢) اشاراته فلم يذكرها سوى صاحب التاريخ المذكور واما رنائه فذكرها غير واحد من مؤرخي الرهبانية

(٣) اثبت هذا القانون الطيب الذكر البطريرك اسطفانس الدويجي بطلب المطران جرجس بين الشهير في ١٨ حزيران سنة ١٧٠٠ وبيته الخبر الاعظم البابا اقليمس الثاني مشر بالتاس الرئيس العام اقس ميخائيل الاهدني في ٣١ اذار سنة ١٧٣٢

والانفراط فوضعه (١) بالاشتراك مع اصحابه الافاضل (٢) في اواخر عام ١٦٦٧ فجا. يتطوي على خمسة عشر باباً في مواضع مختلفة كالطاعة والمعنة والفقر والتواضع (٣) وما شاكل ذلك مما يفرض على الرهبان المنقذمين الى عبادة الله وخدمته مدى العمر وهكذا وافق فيه عموم الرهبانيات الغربية دون ان يخالف في وجوب الانفراط عن ضوضاء العالم البشري الرهبانيات الشرقية

فكان هذا وجوب الانفراط مجلبة التبليل ومدعاة الاضطراب في عوم الرهبانية الحديثة حتى حرك من الاب جبرائيل ساكن التبرم والام فاعتزل الجامعة الرهبانية قبل النذر الاحتفالي في سنة ١٧٠٠ ونحاز الى دير القديس يوسف بقرية زغرنا يعيش فيه من صدقات المؤمنين ويشغل بتعليم الصبية والقاء المواعظ في ايام الاحاد والاعياد على ما حكاه صاحب تاريخ الرهبانية وجامع الروايات

وظل هناك الى ان سكن ثائر الحواطر في عام ١٧٠٥ فساد الى الرهبانية ونذر النذور الثلاثة المعنة الدائمة والطاعة القانونية والفقر الاختياري ففرح به اخوانه فرحاً عظيماً لئلا منهم كانوا يتبله يتدون ويصلبه يفخرون والى رايه يرجعون في عريض المسائل والشاكر

وفي سنة ١٧١١ قصد رومة العظمى للتبرك بزيارة ضريحي الرسولين بطرس وبولس ولحم الخلاف الذي احتدم بين الاب جبرائيل حواء والرهبان فقضى فرض زيارة ورأب متباين الصدع بعد اللتيا والتي بماضدة العلامة السمعاني الطائر الشهرة فاصاب عند الخبر الاعظم البابا اقليس الحادي عشر اتم الاكرام ومن ثم رحل الى

(١) هذا ما يؤخذ من نسخة من القانون مؤرخة سنة ١٧٢٥ اصوحا الآن في خزنة كني المخطوطة. ومن الغريب ان مترجمي المتن ومؤرخي الرهبانية لم يذكروا هذا الامر بالرغم عن اهميته وجلاله بل لم يذكروه احد من الكتب سوى صاحب تاريخ المقاطعة الكروانية (ص ١١٧) (٢) كذا روى صاحب المقاطعة الكروانية متابة لبعض مؤرخي الرهبانية غير اني لم ار هذا الاشتراك صريحاً في نسخة القانون المذكورة فاقضى التيه

(٣) قد ضوا بعدئذ يتحيزوا واضافوا اليه زيادات انتضمتها ظروف الزمان والاحوال وقد شرحه الطيب الذكر المطران عبد الله قرألي في كتابه المنون « المصباح البستاني » *

* ومن قابل بين هذا القانون وقانون الرهبانية اليسوية تحقق انه سبني في امور كثيرة على قانون القديس اغناطيوس وربما نقله بمرقه
ل. ش

اسبانية (١) ابتداء ان يتقدم ما فيه من آثار العرب الناطقة بعضهم المنبئة باتساع حضارتهم الدالة على ضخامة ملكهم فرأى منها ما رأى وحصل على بعض الكتب الخياطوة (٢) وقفل في سنة ١٧١٢ عائداً الى جبل لبنان غائماً ظافراً

وقد لاقى الأمرين في تنقله من بلدة الى غيرها في هذه الرحلة المستطية وكفالك بينة على ما تحمله من المشاق والمتاعب في صقلية ومالطة وميس انه اعتل مرة وادف مرة اخرى كما ترى في بعض قصائد ديوانه (ص ٢٢٩ و ٤٠٤)

وهذا ما ابغض اليه العالم وجاهته بالكلية وحسب اليه حياة الوحدة فاقطع في بعض شهور سنة ١٧١٢ الى ماسك (محبية) ماري يرشاي التارك الشهير (٣) الكائن في سفح الوادي المقدس واعتكف فيه على ما شأت النفس من الزهد والتفكير فكان يتضي يومه تارة في الصلاة وطوراً في التأليف وحيناً في مطالعة سير الآباء القديسين ويحيي هزيباً من الليل في التأمل في معاني آيات الكتاب المقدس التي كان لتظهرها على ظهر قلبه منذ صباه وهو يردد على نفسه قوله:

فان تدين على أكل وشرب فلا تلعب بتغير الكلام
كلام الله لا يدنوه شره وسعد بتسبيح الطام

يد ان مقامه من الرهبانية المديثة كان ينم عن قضاء وطوره اللوم من الخلة والتهمد والانسكاف. وعليه عاد الى دير ماري اليسوع نحو ختام السنة المذكورهما مواصلاً السعي في سبيل خير الرهبانية التي اوقف على نجاحها حياته كلها

وقد رحل الى موطنه حلب ثلاث مرات الاولى سنة ١٧٠٥ (٤) والثانية سنة ١٧١٣ والثالثة سنة ١٧٢٠ بدعوة البطريرك اثناسيوس الدباس ليذهب له عبادة كتاب الدر المنتخب ليوحناً في الذهب * وكان في كل مرة يزور وطنه العزيز يظن كل يوم احد في الكنيسة المارونية حيث ترى المسيحيين من كل الطوائف والطبقات يتقاطرون زرافات ووحداً مزدحمين لاسماع اوامره البساعة وزواجره الرادعة ثم ينشرون من حيث اتوا مبهورين من فصاحتهم وبلاغتهم ومضاء حجته في كل عظمة

(١) انظر مادة (ت ل) من باب الاعراب (٢) راجع ص ٢٥ من جامع الروايات

(٣) طالع في قدم هذه المحبة وتجديدها ما ورد في الصفحة ٢٦٢ من سنة المشرق الرابعة. والمترجم له اول قاطبها بتجديدها (٤) لا تذكر هذه الرحلة سوى في الصفحة ٤١١ من الديوان

* ان هذا الكتاب كان طبع قبل ذلك بحلب سنة ١٧٠٧ (راجع المشرق ٢٥٦:٣) ل. ش

ولما سمى الرئيس العام القس عبد الله قرأ لي مطرانا على بيروت أحييت النياحة الى
عهدة الاب جبرائيل الى ان عهد اليه بالرئاسة العامة على الرهبانية كلها ثلاث مرات
(ثلاثة مجامع) متباعدة (١) من اواخر عام ١٧١٦ الى ختام عام ١٧٢٤ وذلك على
رغم تجنّب الرئاسة وابعاد قبورها فاتبعت الرهبانية وأمّلت في عهده الخير فلم يخب
املها يلا صرفه من الهمة والعناية الى ما يجزها لها النفع الروحي ويكمل لها النجاح المبتغى
وحسبك ان الرهبانية قد عدت من مصاف المحسنين اليها كما ترى في تاريخها المثبت في
مختصر تاريخ لبنان للشلمس انطونيوس العين طوديني

• الاسقف

اجمع انكبة المعاصرون على ان المطران ميخائيل البلوزي اسقف حلب (٢) قد
تنازل عن الاسقفية عن ارتياح وطواعية عند عجزه عن القيام بماها يلا دامه من
الامراض وعوارض الشيخوخة فاجتمعت آراء البطريرك والشعب على اختيار الاب جبرائيل
الى ذلك المقام الحظير فتمادي في الامتاع والاعتذار حتى لم يجد الى الابعاد سبيلا فاذعن
لامر البطريرك يعقوب عواد فراه الى الدرجة المطرانية باسم جرمانوس في ٢٩ تموز سنة
١٧٢٥ فكان ليوم سيامته رنة ابتهاج عظيمة ردّتها سائر اقطار لبنان والنحا. الشها.
وحسبك من الادلة ان الآباء اليسوعيين الافاضل قد انبأوا في الرسائل البانية
(Lettres édifiantes) ان الابريشية الحلبية قد اهتمت بالسيد جرمانوس غاية الاهتمام (٣)
ولا بدع فان الحليين قد عدوا نهار رسامته « النهار انكلي البركلت والحيرات » وحسبوا
انباء رسامته « مكاتيب البشائر بالاقراع » على ما روى صاحب التاريخ انكسي
وكان وصوله الى حلب مقر ابرشيته الجديدة في ال ٨ من كانون الاول آخر شهر
السنة المار ذكرها فاتيته الجم الغفير من المسيحيين والرجوه اوصف للابتهاج به من
الاسنة يلا سهدوه به من الهمة والسياسة والدراية والفطنائل والمعارف المشهورة
فاقبل السيد جرمانوس على العمل بنية متقلة لا تعرف الكلال وعزيمة تاهضة لا

(١) لا مرتين كما ورد في ترجمته المنشورة في الديوان وقصل الخطاب وباب الاعراب

(٢) ارتقى الى الاسقفية سنة ١٧٠٤ وتنازل عنها سنة ١٧٢٤ وتوفي سنة ١٧٢٥

(٣) انظر مجموع الرسائل المذكورة

تدري ما الملل . وأول ما فُكّر فيه حال الاسقف من حيث انه خليفة الرسل وابر الكهنة وراعي الكنيسة فهو صاحب الحل والعقد والسياسة الى غير ذلك من الخصائص وهو المولّى على التبريك والتكريس والإسامة وغيرها من الامتيازات فيجب عليه ان يتسك بالوداعة والقناعة والتواضع المقدّس وما سراها من الفضائل وان يتجنّب الضرب والكبرياء والمخاصة وما شاكلها من الرذائل وقد وضع في كل ذلك الفرائض الهبة التي جرى عليها بكل تدقيق حتى آخر حياته السعيدة (ملخص عن مجموعة فرائضه)

ثم نل الى حال الكهنة من حيث انهم بتزلة البعين الذين اختلفاهم المسيح الرب ليرصدوا اعمالهم وقفا على خير الكنيسة الجامعة فسُن لهم السن العديدة في ما عليهم من الخشوع للاسقف وما يتعلّق بهم من تدبير الذنوس وخدمة سرّ التوبة وما يقبونه من الصلاة الجمهورية لاجل الاحياء والامرات وما يلونه من السلطان في توزيع الاسرار كعصيد الاطفال وحلّ الثابين ومناولة المؤمنين ومسحة المرضى الى غير ذلك . ولكنه اتابّه الله كان في هذه التهذبات أميل الى سن الرهبان القانونيين منها الى سن الكهنة العالمين (ملخص عن مجموعة فرائضه)

ثم اهتم بامر الشمامسة على اختلاف طبقاتهم فعرّفهم باهمية منزلتهم في الكنيسة وما يجب عليهم فعله في جنب الاسقف والكنيسة وما يظهره من الحشمة في لباسهم وزيهم وناظر افعالهم وما يقتضى ان يزودوه من الخدم في الكنيسة المقدسة وما يزودون به من الفضائل ويتكفون عنه من الرذائل (ملخص عن فرائضه)

ثم عني بامر الشعب فألّف القلوب على التناغم والوئام بمد التقاطع والتدابير اثر حادثة شهيرة (١) واشتغل في غرس العادات الحيدة وبذل أقصى مجهوده في تأييد الأدب وانشاء الاخويات والبيادات التقوية التي لا تزال جارية على الالسنه حتى هذا العهد وابلل كثيراً من العوائد الذميمة المطروقة في تلك الايمان (ملخص عن فرائضه) ثم اجتهد باصلاح الكتاب الماروني للشهور فامر ان يسع فيه نطاق التدريس حتى يُستطاع فيه تهذيب الشيعة وثقيفها على النوال الحسن وان يُقّم الطلبة الى

صنوف وحلقات يسهل معها تخرّجهم في العلوم وتخلّمهم في الآداب الحبيدة. وقد ظلّ هذا الكتاب زاهراً عامراً حتى أواسط العصر الماضي حيث مالت أنواره الساطعة الى الغروب فتربت شمس الآداب السريانية خاصة عن افق حلب الشهباء ثم صرف همته الى جمع مكتبة يعلو اذذاك وجود مثلها في الشهباء وغيرها لئلا حوته من نفائس الكتب المخطوطة النادرة الوجود وجمع اليها علماء زمانه القادرين على صناعة التحجير كالخوري بطرس التولوي الفيلسوف الشهير (١) والقس يوسف الباني العلامة الشهير والقس عبد المسيح ليان الطقسي الشهير (٢) والقس عطا الله زنده الكاتب والشاعر المشهور فبجاء اجتماعهم اشبه شي. بدائرة علمية كان السيد جرمانوس تقاطها ورنيها يستوري زنادهم ويختصر بعض تأليفهم ويصحح فاسد عبارتها ولا شك ان هذا العمل الخطير لم يسبقه اليه احد من الشرقيين في سالف العصور (ملخص عن جامع الروايات)

والنتيجة انه بذل قصارى العناية في اتيان كل ما من شأنه ان يعود على البشر بالخير والنفع والنجاح والفلاح في الدين والدنيا. ومع كل هذه الاعمال العظيمة والمشروعات الخيرية كان لا يفتقر عن مزاولة التأليف ومطالعة الكتب الكثيرة المتاعب باجتهاد فريد عجيب لا يتالك معه المطلع من ان يحلّه محلّ جهابذة العلم والفضل من الطبقة الاولى

وقد زایل الشهباء مرتين في عهد اسقفية الاولى سنة ١٧٢١ لبعض شؤون رهبانية والثانية سنة ١٧٢٨ لامر من لمرور اسقفية فكأن في هذا النابذة قد قضي عليه ان لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار بل ان يكون رحالة جوالاً بالرغم عن لشغاله انكهنوتية العظيمة وسهامه الاسقفية الخيرية

ولم يزل عاكفاً على خدمة الدين والعلم والفضيلة بالتعب والتأليف والارشاد حتى ورده داء الورود فاورده ورده الميتة فتربت شمس حياة السعيدة عند غروب شمس اليوم العاشر (٣) من تموز احد شهر سنة ١٧٣٢ وله من العمر احدى وستون سنة

(١) راجع ترجمته في المشرق (٦: ٧٦٩)

(٢) طالع ترجمته في المشرق (٥: ٧٨٦)

(٣) لا في اليوم التاسع كما ورد في ترجمته المروقة

وثمانية شهر سوى عشرة أيام وهي السنة السابعة والثلاثون لهيائتيه والخامسة والثلاثون
لقسويته والسابعة لاسقويته

فقضى رب الرئاسة ومضى رجل السياسة. وثمل عرش الفضل وذلك طرد النيل.
وهوى عماد الوطنية وتقوض ركن النهضة الادبية. فراحت الاداب تُعزل عليه والمعارف
تندب حواليه. والحامد بكيه ولسان العرب يرثيه. وهذا بعض ما قيل فيه:

اليوم يوم نوابد العرفان وريثا الوفا والفضل والبيان
اليوم روض العلم جف غديرها فندت عليه ذوابل الانعمان
وسكارم الاخلاق مال عمادها والرعي من ذلك الميلاق
ومعاصر الاداب اطفأ نورها ربح المون وعماد الماندان
مرت حروف نبي كخاجر بلسان الضلال والابيان

وفي اليوم ال ١١ من الشهر الآتف الذكر أقيم له مأتم حافل احتشد فيه السواد
الاعظم من اكليروس الطوائف الكاثوليكية وشعوبهم من الموارنة واللاتين والارمن
والروم والسرمان يصحبه آباء الرهبانيات الفرنسية واليسرعية والكبوشية والكرملية
وعلى سحنة الجميع سباء الحداد والشجن كأن عليهم الطير فاودعه اللحد ألياً له
تحت هيكل مريم العذراء المعروف بيكل الرردية في كنيسة القديس الياس القديمة
بين سيول اليبات والرحمات وفتح الله لوجه الطاهرة ابواب جنانه اذ أغلق باب
الجدث على جنانه

ولقد رثاه تليذه وصديقه المعارف بسطة عليه وسمة فضله الفاضل النيل
الحروري نيقولاوس الصانع الشاعر المشهور بتصيدة محبرة (تُرى في ديوانه ص ٢٤٠)
هذامظلمها:

ألا ان منى الجد ثلث دعايقه ورح ساء الفضل اغت مالمه
(البقية لعدد آخر)

اهم الحوادث

في سنة ١٩٠٣

نظر لخصرة الاب انطون رباط اليسوعي

انضمت سنة ١٩٠٣ الى تاريخ الماضي داخلة في خبر كان فلم يأسف الكثيرون